



مجلة مربع سنوية - العدد الأول - يناير ٢٠١٩





BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial
rojects
إصدارات المشروعات الخاصة

الفهرس

- ٣ تقديم
- ٤ نخل العراق
- ١٦ النقاد العربية في العصر العباسي
- ٣٦ سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي
- ٥٠ أغنية صنعاء
- ملف خاص
- ٥٢ - زينة الخيول الأثورية وسروجها
- ٦٠ - ركوب الخيل في العصر العباسي الأول
- ٦٤ - مضمار وسباق الخيول في سامراء
- ٧٤ - أدب الفروسية في العصر المملوكي
- ٩٨ - إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل
- ١٠٨ - الأفراس المؤسسة للمرابط المصرية
- ١٢٤ - العقيلات ووجودهم في مضامير الفروسية في مصر
- ١٣٦ - نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد
- ١٤٠ الحكاية الفلسطينية
- ١٤٢ تطوان: المدينة الأندلسية في شمال المغرب بين الحاضر والماضي
- ١٤٨ سليل البوعبدل
- ١٥٦ البريد والطوايع في لبنان
- ١٦٤ ذاكرة العرب

المشرف العام

مُصطَفى الفقي

مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير

خَالِد عَزَب

سكرتير التحرير

سُوْرَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي

فاطمة نبه

مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط

الحسن عصام

خَالِد مُصطَفى

الإسكندرية، يناير ٢٠١٩



سليق الابو عيسى (*)

بقلم: بيشنتي سانشير أوكانيا
ترجمة: الدكتور إسلام عاصم
صور: فيرنانديز كوادرادو، وتوريث دياث

قصور الحمراء بمدينة غرناطة، من تصوير سوزان عابد.

(*) البوعبدل Boabdil: هو أحد الأسماء التي يطلقها الإسبان على حاكم غرناطة الحادي عشر؛ محمد بن علي، الذي يعرف بأبي عبد الله الصغير، آخر ملوك بني نصر أو بني الأحمر، وآخر الملوك المسلمين في الأندلس. تولى الحكم مكان أبيه أبي الحسن علي عام ١٤٨٢م، إلا أنه أسر في السنة التالية في أثناء قتاله ضد جيوش قشتالة، فقام بتوقيع اتفاقية لصالح ملوك قشتالة؛ ليعود ويقوم بحاربة عمه الزغل الذي كان قد حل محله، في أثناء أسره، حتى استسلم للملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا، وسلمهما مملكته بعدما كان قد وقّع معاهدة التسليم في ٢٥ نوفمبر ١٤٩١م، التي نقض الملكان الكاثوليكيان بنودها. وفي الثاني من ديسمبر عام ١٤٩٢م، دخل الملكان قصر الحمراء بغرناطة، وتركها أبو عبد الله الصغير إلى أندرش جنوب جبل الثلج، ثم انتقل إلى مدينة فاس.

حفيد البوعبدل^(١)

- في الحقيقة، فإني قد تعرفت إلى سليل البوعبدل أو سليل عمه الزغل^(٤). والآن لا أعرف إن كان ما زال في المكان نفسه الذي كان يعيش فيه أم لا، إلا أنني سوف أحاول العثور عليه، وعندما أجده سوف أخبرك.

البحث عن بني الأحمر

بعد تلك المحادثة بأيام قلائل عدت إلى إسبانيا، وبالطبع نسيت بصورة كاملة أمر حفيد البوعبدل. ولكن السيد كارلوس لم ينسَ وراح إلى قرى جبال^(٥) باحثاً تحت كل خيمة، مُنقّباً في كل قبيلة^(٦) عسى أن يجده. فقد تعارفا في بني يدير^(٧)، حيث ولد هناك وعاش في تلك الأرض حتى وقت قريب، إلا أنه هاجر مع عائلته... وربما يكون في تطوان. فما كان من السيد كارلوس سوى أن يقتفي أثره في أزقة تطوان. إلا أن أحداً لم يستصوب كلامه عنه، وكان المسلمون يردون عليه... بنو الأحمر؟ مغمغمين حائرين، هل تقول بنو الأحمر؟ ويرفعون أكتافهم. وفي النهاية أوضح له أحدهم أنه يعتقد أنه يتذكر أحدهم من بني الأحمر كان يعمل في مخبز.

أبو عبد الله الصغير، محمد بن علي؛ حاكم غرناطة الحادي عشر، آخر ملوك بني نصر (بني الأحمر) المعروف بالبوعبدل.

كنت أتجول في أزقة تطوان^(٢) في إحدى الليالي منذ عام أو عامين، عندما سألتني صديقي السيد كارلوس كيروس: هل تحب أن تتحدث إلى أحد أفراد أسرة بني الأحمر؟ فأجبت: التي حكمت غرناطة^(٣) إلى أن أخذها الملك الكاثوليكيان؟ نعم. فسألت: وهل تعرف أحدهم؟ أتعرف أحداً من بني الأحمر؟ أتعرف أحد أحفاد البوعبدل؟ فابتسم السيد كارلوس كيروس في رضا وهو ينظر إلى حالة الذهول التي اعترتني. والسيد كارلوس هو عالم حضارة وعالم باللغة العربية، وباحث مدقق، وعلامة محقق. فقد كنا نسير باحثين عن قصص؛ لتروى في الصحف، على ألا تكون جوفاء تافهة؛ لما لكارلوس من عشق لتاريخ المسلمين، وهو ما ظهر في نظراته التي لم تكن كأبي نظرة؛ فهي نظرة المراسل الجريئة. فهو - فخوراً - على استعداد لعمل كل ما هو لازم حتى لا يفتر الفضول عند صديقه.

(٤) هو محمد بن سعد أبو عبد الله الزغل (الشجاع أو الباسل)، أبو عبد الله محمد الثاني عشر. تولى حكم غرناطة بعد أسر ابن أخيه أبي عبد الله الصغير عام ١٤٨٣م، إلا أنه وبعد إطلاق سراح أبي عبد الله الصغير من الأسر الإسباني عام ١٤٨٥م بعد توقيع اتفاق لصالح قشتالة، اتجه بعد إطلاق سراحه إلى حي البيازين لبياعته أهلها لتولي الحكم مكان عمه الزغل؛ لتبدأ حرب أهلية بين الطرفين، استمرت قرابة الشهرين، وانتهت بعقد صلح بين الاثنين. إلا أن الإسبان حاولوا الوقعة بين الاثنين حتى نجحوا في ذلك عام ١٤٨٦م، عندما حرضوا أبا عبد الله ضد عمه؛ لتتقسم المملكة بين الاثنين. وظل ملك قشتالة يشدد ضرباته حتى عقد الزغل عام ١٤٨٩م معاهدة معه، وترك الأندلس وانتقل إلى تلمسان بالجزائر.

(٥) منطقة جبالية هي المنطقة الجبلية الواقعة في الشمال الغربي والشمال الأوسط للمملكة المغربية بمحاذاة الساحل الأبيض المتوسط والأطلسي. تعود تسميتها بجبال إلى القرن السابع عشر، إذ استحدثت الملوك العلويون إيالة شمال غرب المغرب، تحت اسم جبال، الذي مرجعه للطبيعة الجبلية للمنطقة.

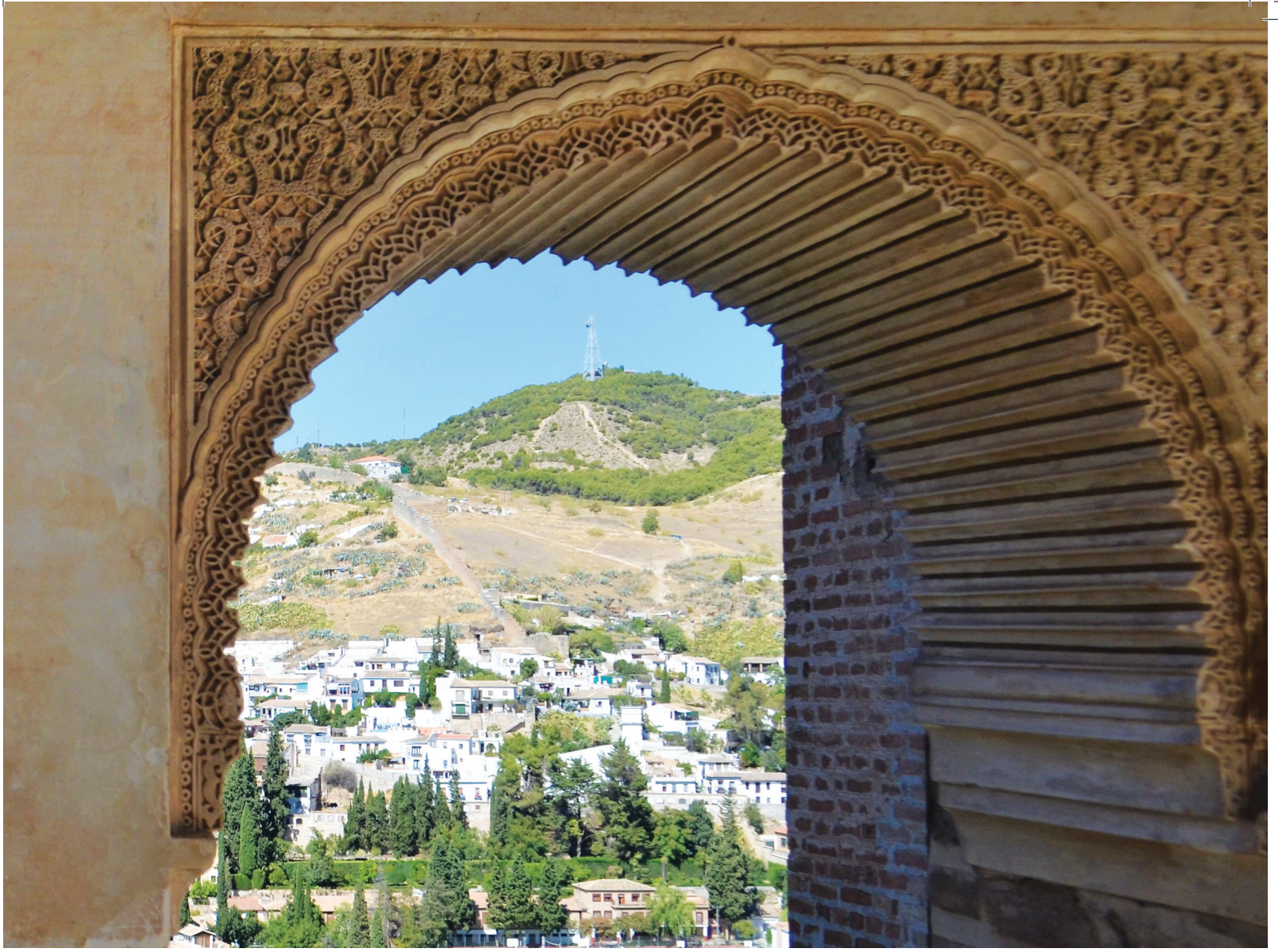
(٦) عددها سبع وسبعون قبيلة.

(٧) إحدى قبائل منطقة جبال.

(١) مقال منشور في مجلة Estampa الإسبانية، العدد ٢٠٣ في ٢٨ نوفمبر ١٩٣١م؛ نقلاً عن المكتبة الوطنية الإسبانية (مصدر متاح).

(٢) تقع مدينة تطوان على جانب جبال الريف، وتطل على مياه البحر المتوسط. وتتميز هذه المدينة بأنها تضم مزيجاً من الثقافات المختلفة. وتوصف مدينة تطوان أحياناً بالمدينة الغامضة أو البعيدة، ويطلق عليها الشعراء العرب «الحمامة البيضاء» أو «ابنة غرناطة».

(٣) غرناطة أو إغرناطة اسم أعجمي. كانت مدينة صغيرة بالقرب من مدينة البيرة التي كانت عاصمة الولاية التي كانت تعرف بالاسم نفسه، وبمرور الزمن حلت غرناطة محلها. ضمت مملكة غرناطة أيام بني الأحمر الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية، من جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط، ومن لورقة في ولاية مرسية شرق إلى البحر المتوسط. وشملت ثلاث ولايات كبيرة؛ ولاية غرناطة وهي في الوسط وفيها العاصمة، وولاية المرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب والغرب. ويرجع اسمها إلى عهد الرومان والقوط، إذ اشتقت من الكلمة الرومانية Granata أي الروانة؛ بسبب حدائق الرمان التي كانت تحيط بها، ولذا اتخذ الرمان شعار غرناطة التاريخي. فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد في الثاني من رمضان عام ٩٢هـ/ ٧١١م. وتعد غرناطة آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس، وظلت تقاوم لقرنين ونصف حتى سقطت سنة ١٤٩٢م.



حكمت غرناطة حتى اليوم الثاني من يناير عام ١٤٩٢، هو أمر لا شك فيه.

لكنه انحدر من أي فرع من الأسرة الحاكمة؟ هل هو من نسل محمد عبد الله الذي يطلق عليه الإسبان البوعبدل الصغير؟ أو من نسل عبد الله عم البوعبدل؛ أي من عبد الله الزغل؟

البوعبدل وعمه الزغل كانا يحكما عرش غرناطة بقوة. استمرا عدوين بعد سقوط المدينة في يد المسيحيين. وعندما جاء وقت مغادرة إسبانيا، كل واحد منهما استقر في مكان مختلف في مراكش؛ حيث استقر البوعبدل في فاس، واستقر الزغل بالقرب من الساحل الشمالي^(١).

ابن الأحمر، ذلك التاجر في شارع النيارين، من أي من البيتين أتى؟

بعدها بدأ - السيد الطيب كارلوس - الطواف من مخبز إلى مخبز، سائلاً عن سليل آخر ملوك غرناطة. حتى عثر على دليل في مخبز «كواكس» Cuax. فهناك كان يعمل حتى فترة قريبة، لكنه ترك العمل بالمخبز، ولا أحد من الخبازين يعرف بالضبط ماذا حدث له.

وظل صديقي يجري بين الأزقة خلف ظل الأمير... حتى عثر عليه في النهاية.

منذ عدة أيام عندما عدنا لزيارته في تطوان كان متهللاً

- لقد عثرت على بني الأحمر! أعلنها لي منتصراً.

- يعيش هنا في تطوان. هو تاجر استقر في شارع النيارين.

شكوك السيد كارلوس

في صباح اليوم التالي، في الطريق إلى شارع النيارين، راح السيد كيروس يشرح لي الشكوك - التي أثّرت في نفسه المدقة كمؤرخ - حول صاحب الحانوت الذي نحن ذاهبون لرؤيته. فكونه من بني نصر وعضواً من أعضاء الأسرة الملكية التي

(١) من المعروف أنه استقر في تلمسان.



مدينة غرناطة... إطلالة من قاعات قصور الحمراء، من تصوير سوزان عابد.

الله فيك. إلا أنه وبعد أن أنهكت معرفته بالإسبانية ومعرفتي بالعربية، ظل كل منا ينظر إلى الآخر، لا يعرف ماذا عليه أن يفعل. حينها قام السيد كارلوس كيروس بالشرح له باللغة العربية، من نحن، وماذا نريد، نريد فقط معرفة حياته وأخذ بعض الصور له.

كان يسمع وهو مطأطي الرأس، مبتسمًا في خجل وتواضع. وفي تلك الحالة من الحياء والأدب التي تكون عند القرويين أمام أهل الحضر. وكان بين الحين والآخر يحرك يديه في إشارة تدل على موافقته لما يقوله صديقي، بدأ بعد ذلك يتحدث راويًا قصته.

قصة أحمد

اسمي أحمد بن العربي بن الأحمر، ولدت في قرية «منكال» Mencal في قبيلة بني يدير. أبي فلاح، مثل جدي وأبي جدي وكل العائلة.

أنا أيضًا كنت فلاحًا حتى أعوام قليلة مضت، عندما أصبحت الحياة صعبة بالنسبة إلي في الحقل، أتيت إلى تطوان. هنا عملت

اعترف لي صديقي أنه لا يوجد أي معلومة تخرجنا من هذه الحيرة. فالإقليم الذي عثرنا عليه فيه يسوقونا إلى الاعتقاد أنه من بني نصر من فرع الزغل، ولكن هذا الدليل ليس كافيًا بهذا الشكل، بل هو أضعف بكثير من أن يقودنا إلى حل. أنا لا علم لي...

صاحب الحانوت في شارع النيارين

أحمد بن العربي بن الأحمر - سليل الملك البوعبدل أو سليل الملك عبد الله الزغل - التاجر في شارع النيارين، ليس بالمهيب، فيظهر عليه الطابع القروي؛ فهو قوي، ذو وجه عريض، ذو صحة جيدة، متناقل الحركة...

جالس على باب حانوته، ورجلاه منفرجتان، تسترخي راحته على ركبتيه.

كان يتأمل في هدوء منظر الشارع عندما وصلنا. وقف عند رؤيتنا وقمنا بتحيته بالإسبانية:

- صباح الخير؛ فتجاوبنا مع أدبه بالصيغة التقليدية: بارك

أحمد بن العربي بن الأحمر سليل العبادلة، جالسًا أمام
حانوته بمدينة تطوان بالمغرب.



لفترة في المخايز. وفي العام الماضي فزت بأربعة آلاف دوروس^(١) في اليانصيب الإسباني، ومن حينها تركت العمل عند الغير، وقمت بفتح هذا الحانوت.

صمت أحمد بن العربي لبرهة محرّكاً رأسه، منهياً حديثه قائلاً:

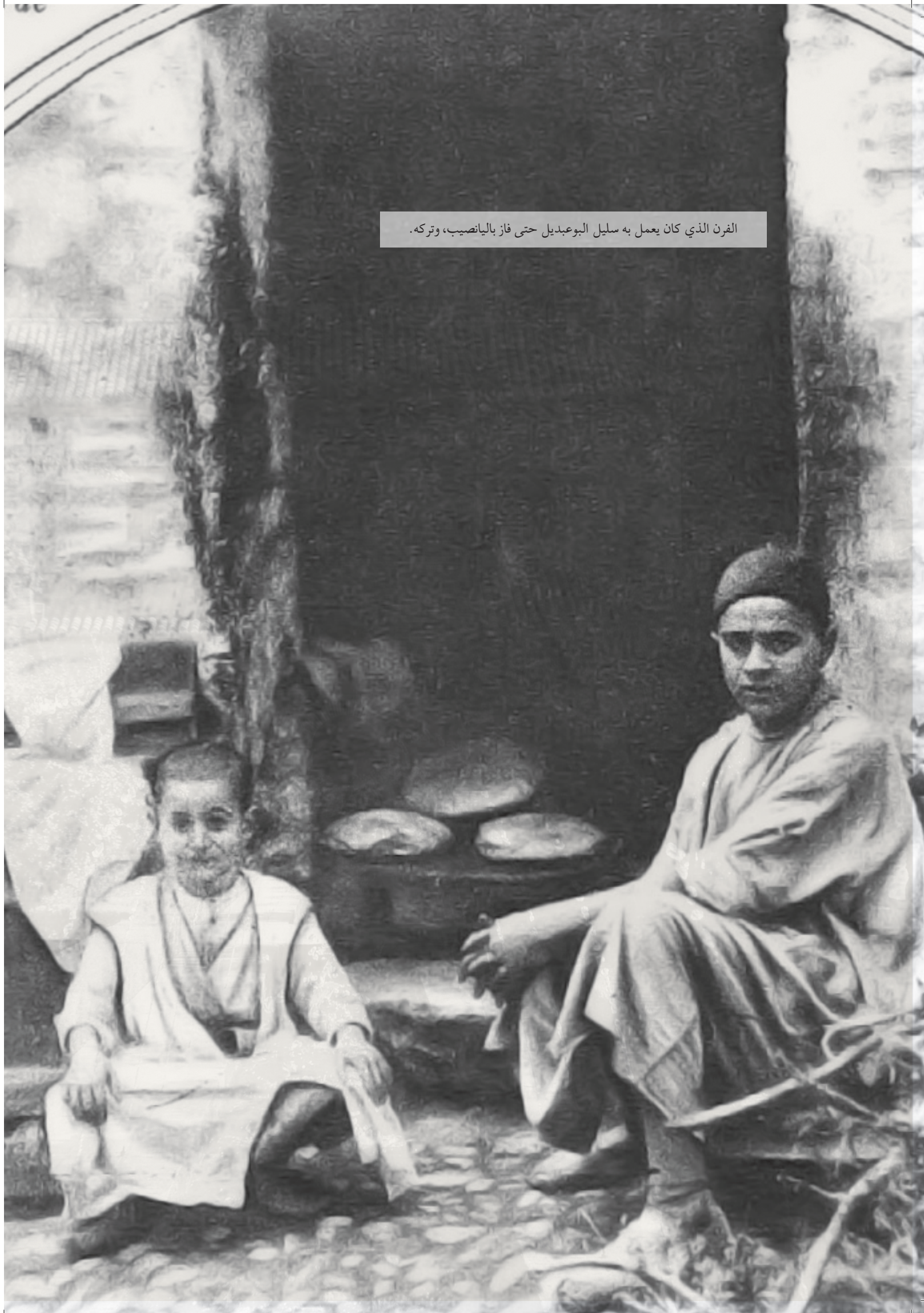
- لا يوجد أكثر من هذا.
- سأله السيد كيروس، أليس لك عائلة؟
- نعم، فأنا متزوج ولدي ثلاثة أبناء، ولدان و بنت.
- توقف مرة أخرى، وحرك رأسه مثلما حركها في السابق، وكرر قائلاً: لا يوجد أكثر من هذا.

(١) هي إحدى فئات قطع العملة الإسبانية القديمة، وكلمة دورو Duro تعني الصلب أو القاسي، وهو ما كان يطلق على قطعة العملة التي تساوي خمس بيزيتات Pesta إسبانية. وقيمة هذا المبلغ حالياً توازي ما قيمة شرائه ثلاثون ألف يورو.



سليمان العبدالة؛ أحمد بن العربي بن الأحمر، مع كاتب المقال السيد بيثيني أوكانيا.

الفرن الذي كان يعمل به سليل البوعبدل حتى فاز بالانصيـب، وتركه.



موت الحاج عبد الرحمن

- سألته من خلال السيد كارلوس، تعرف أنك سليل بعض الملوك، من ملوك أرض إسبانيا التي تسمى غرناطة؟
عاد للابتسام خجلاً: هذا ما يقولون.
- لكن هل تعرف قصة أسرتك؟ هل سمعت أي كلام عن أشخاص من بني نصر، عن محمد بن الأحمر، عن مولاي حسن، عن البوعبدل؟
 - هذا ما أعرفه من عم لي... قد كان درس الأمر، وقام بعدد من الرحلات، كما قام بالحج لمكة، وكان اسمه الحاج عبد الرحمن. فالحاج عبد الرحمن روى هذه الأشياء عن إسبانيا، وعن غرناطة عندما كانت عائلتنا هناك...
 - وهل توفي الحاج عبد الرحمن؟
 - لا، بل قتل في بني كير^(١) بواسطة قنبلة ألقيت من طائرة في وقت الحرب^(٢).
 - قنبلة من الإسبان؟
 - نعم.
 - إسبانيا؟
 - حدثت فترة من الصمت.
 - أحمد بن العربي بن الأحمر أمامنا ورأسه مطأطأ ناظرًا إلى الأرض في عناد.
 - فيم يفكر؟ يفكر في كيف أننا في تلك العشوائية المساوية بعد أربعة قرون من حرب غرناطة، وضعت عائلته مرة أخرى في طريق الإسبان؟
 - أحمد، هل زرت يوماً إسبانيا؟
 - لا.
 - هل تحب أن تذهب؟
 - بفف!
 - ألا تحب أن ترى غرناطة، وقصر الحمراء، وقصر جنة العريف، وحي البيازين؛ أن تزور أرض أجدادك؟
 - بفف!



مدينة تطوان بالمغرب؛ المدينة التي يعيش فيها سليل البوعبدل.

(١) هي الأقرب للاسم والموقع، كما ذكر اسم القرية في أصل المقال Ben Carrix.

(٢) يرجح أنها حرب الريف «حرب مليلة» عام ١٩٢٠م.

وَيَحِلُّ الْقَصُّ وَالْجِبَالَةُ وَالْفَيْسُ وَالذُّبَالَةُ إِنَّهَا لَضَعُفٌ عَلَى بَالَةٍ فَأَضَاعَتْ نَقْصُ مَذْرُوحًا
وَنَشَدُ مَذْرُوحًا فَلَمَّا دَانِيَتْ قَرْنَتْ بِالرُّقْعَةِ دَرْمًا وَفُطِعَ وَقُلْتُ لَهَا أَنْ غَبَيْتِ فِي الْمَشُوفِ الْمُعْشَلِ
وَأَسْرَتِ إِلَى الدَّرْقِمِ فَوُجِي بِالسَّرِّ الْمَقْدَمِ وَإِنْ أَيْتَانِ تَسْرُحِي فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَيْسِرِي



فَالْتِ إِلَى اسْتِخْلَاضِ الْبَذْرِ أَلْتُمْ وَالْأَبْلَحُ الْهَمِّ وَقَالَتْ دَعْ جَدَّكَ وَيَلْ عَمَّا بَدَلَكَ فَاسْطُوعُوا
طَلَعَ الشَّيْخُ وَبَلَدُهُ وَالشَّيْخُ وَبَايَجُ بَرْدَتُهُ فَقَالَتْ إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَفْضَلِ سُرُوحٍ وَهُوَ الَّذِي وَشَى